كما زكى عبده ورسوله البشري محمداً ﷺ بقوله تعالى : ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ قال الشعبي وميمون بن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم : المراد بقوله ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني محمداً ﷺ ، وقوله تعالى : ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ﴿بالأفق المبين﴾ أي البين وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله ﴿علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ كما تقدم تفسير ذلك وتقريره ، والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤيا وهي الأولى ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ فتلك إنما ذكرت في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء .

وقوله تعالى : ﴿وما هو على الغيب بظنين﴾ أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أي بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان ابن عيينة : ظنين وضنين سواء أي ما هو بكاذب وما هو بفاجر . والقنين المتهم والضنين البخيل . وقال قتادة : كان القرآن غيباً فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿قلت﴾ : وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى : ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى : ﴿وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون﴾ ، وقوله تعالى : ﴿فأين تذهبون ؟﴾ أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقاً من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئاً من قرآن مسيلمة الكذاب الذي هو في غاية الهذيان والركاكة فقال : ويحكم أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أي من إله ، وقال قتادة ﴿فأين تذهبون﴾ أي عن كتاب الله وعن طاعته .

وقوله تعالى : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية ، ولا هداية فيما سواه ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ أي ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سليمان بن موسى : لما نزلت هذه الآية ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى : ﴿وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ . آخر تفسير سورة التكوير . ولله الحمد والمنة .

قال النسائي : أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ «أفتان أنت يامعاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت» وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر ﴿إذا السماء انفطرت﴾ في إفراد النسائي . وقد تقدم من رواية عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال «من سره أن ينظر إلى القيامة رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى : ﴿إذا السماء انفطرت﴾ أي انشقت كما قال تعالى : ﴿السماء منفطر به﴾ ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي تساقطت ﴿وإذا البحار فجرت﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : فجر الله بعضها في بعض . وقال الحسن : فجر الله بعضها في بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة : اختلط عذبها بمالحها .

وقال الكلبي : ملئت ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قال ابن عباس : بحثت ، وقال السدي : تبعثر تحرك فيخرج من فيها ﴿علمت نفس ماقدمت وأخرت﴾ أي إذا كان هذا حصل هذا . وقوله تعالى : ﴿ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ؟﴾ هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه ، بل المعنى في هذه الآية : ماغرك ياابن آدم بربك الكريم أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لايليق . كما جاء في الحديث «يقول الله تعالى يوم القيامة ياابن آدم ماغرك بي ؟ ياابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟» .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان أن عمر سمع رجلاً يقرأ ﴿ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم ؟﴾ فقال عمر : الجهل . وقال أيضاً : حدثنا عمر بن شيبة ، حدثنا أبو خلف ، حدثنا يحيى البكاء ، سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية ﴿ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم﴾ قال ابن عمر : غره والله جهله ، قال : وروي عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك وقال قتادة : ﴿ماغرك بربك الكريم﴾ شيء ، ماغر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل بن عياض : لو قال لي ماغرك بي لقلت : ستورك المرخاة . وقال أبو بكر الوراق : لو قال لي ماغرك بربك الكريم لقلت : غرني كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة : إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لاينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور ، وقد حكى البغوي عن الكلبي ومقاتل أنهما قالا : نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يعاقب في الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى : ﴿ماغرك بربك الكريم ؟﴾ .

وقوله تعالى : ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ أي ماغرك بالرب الكريم ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال . قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا جرير ، حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير ، عن بشر بن جحاش القرشي أن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال «قال الله عز وجل : ياابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟» وكذا رواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة ، عن يزيد بن هارون ، عن جرير بن عثمان به . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة .

وقوله تعالى : ﴿في أي صورة ماشاء ركبك﴾ قال مجاهد : في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم . وقال ابن جرير : حدثني محمد بن سنان القزاري ، حدثنا مطهر بن الهيثم ، حدثنا موسى بن علي بن رباح ، حدثني أبي عن جدي أن النبي ﷺ قال له «ماولد لك ؟» قال : يارسول الله ماعسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية . قال «فمن يشبه ؟» قال : يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه . فقال النبي ﷺ عندها «مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك» قال : شكلك .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به ، وهذا الحديث لو صح لكان فيصلاً في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت ، لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث ، وقال ابن حبان ، يروى عن موسى بن علي وغيره مالايشبه حديث الأثبات ، ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يارسول الله إن امرأتي ولدت غلاماً أسود ، قال «هل لك من إبل ؟» قال نعم ، قال «فما ألوانها» قال : حمر ، قال «فهل فيها من أورق» قال : نعم ، قال «فأنى أتاها ذلك» قال : عسى أن يكون نزعة عرق . قال «وهذا عسى أن يكون نزعة عرق» . وقد قال عكرمة في قوله تعالى : ﴿في أي صورة ماشاء ركبك﴾ إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير ، وكذا قال أبو

صالح ﴿في أي صورة ماشاء ركبك﴾ إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير . وقال قتادة : ﴿في أي صورة ماشاء ركبك﴾ قال : قادر والله ربنا على ذلك ، ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة .

وقوله تعالى ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب . وقوله تعالى ﴿وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ماتفعلون﴾ يعني وإن عليكم لملائكة حفظة كراماً فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لايفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بحرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه» . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره» ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن إسماعيل الحلبي حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعني البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفاراً إلا قال الله قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث (قلت) وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالطوسي حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إن لله ملائكة يعرفون بني آدم ـ وأحسبه قال : ويعرفون أعمالهم ـ فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان ، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان» ثم قال البزار : سلام هذا أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث .

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾
ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم ، وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي ، وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال «إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء» ثم ذكر مايصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال ﴿يصلونها يوم الدين﴾ أي يوم الحساب والجزاء والقيامة ﴿وماهم عنها بغائبين﴾ أي لايغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولايخفف عنهم من عذابها ولايجابون إلى مايسألون من الموت أو الراحة ولو يوماً واحداً ، وقوله تعالى : ﴿وماأدراك مايوم الدين﴾ تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى : ﴿ثم ماأدراك مايوم الدين﴾ ثم فسره بقوله ﴿يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً﴾ أي لايقدر أحد على نفع أحد ولاخلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ؛ ونذكر ههنا حديث «يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لاأملك لكم من الله شيئاً» وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال ﴿والأمر يومئذ لله﴾ كقوله ﴿لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار﴾ وكقوله ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ وكقوله ﴿مالك يوم الدين﴾ قال قتادة ﴿يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله﴾ والأمر والله اليوم لله ، ولكنه لاينازعه فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانفطار ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .